

آن ل«أوسلو» آن ینتھي

علاء أبو عاصم

وليس ب الصحيح النضال من أجل فلسطين كاملة هدفاً، فإذا كان هدف «أوسلو» إنشاء سلطة وطنية على أي جزءٍ جرى تحريره، فقد أنحرَّ الهدف، وإذا كان ذلك هدفاً مرحلياً فقط، فقد تحقق.

يقرب الشعب الفلسطيني اليوم من أربعة عشر مليوناً في الوطن وفي الشتات، وهناك سبعة ملايين نسمة في مساحة فلسطين من النهر إلى البحر» ويختصر جميعه لاحتلال، ويتعرض للقهر نفسه، وهو مع كل هبة أو انتفاضة يتكاتف وينكمِّل، غير أنه لتقسيمات «أوسلو» أو تقسيمات الاحتلال المناطقة السياسية. وإذا أصبح هدف نضال فلسطيني الداخل المحتل، وفق ما تبع «أوسلو»، المساواة والعدالة ضمن دولة «إسرائيل» أو الحصول على حكم ذاتي لما يطلق عليه صهيونياً «الوسط العربي» كما يسعى إليه بعضهم، فإن رغبة الأغلبية منهم كما أظهرت الأحداث، وبعيداً عن مثيلهم في الكنيست، التكامل مع أبناء شعبهم في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، لا تكاملًا في دولة مستقلة بجوار «إسرائيل» بل محل «إسرائيل» نفسها، ولا يعني ذلك إزالتها، بل الخلاص من صهيونيتها التي تعني عنصريتها وفصاحتها العنصرية Apartheid وتطهيرها العرقي Genocide، وغيرها من قوانين ومارسات تعتبر في عرف القانون الدولي جرائم ضد الإنسانية.

مطلوب «فلسطين كاملة» وهدفها هو المطلب الوحيد القابل للتطبيق والحياة، على عكس مشروع حل الدولتين الذي قال مسؤولون أمريكيون ودوليون، بل حتى صهابية، إنه أصبح غير قابل للتطبيق، بفعل الاستيطان المنتشر في كل مناطق الضفة الغربية، ما جعل واقع الفلسطينيين في مناطق عام 1948 لا يختلف كثيراً عن واقع الفلسطينيين في مناطق 1967، فكلهما محاط بالمستوطنات والمستوطنين، بفارق بسيط متعلق بحرية الحركة والجنسية وببعض التمييز الاقتصادي في الداخل عن مناطق الضفة وغزة.

«فلسطين كاملة» ليست شعراً، بل أضحت هدفاً وخيالاً، لذلك، يُمثل الاستمرار في جغرافية أوسلو ونهاجه، العائق الوحيد لإطلاق حملة نضالية عالمية لإنهاء الصهيونية بوصفها أيديولوجياً عنصرية استعمارية، وصنع سلام حقيقي في دولة على كامل تراب فلسطين يعيش فيها كل من فيها، ضمن حقوق متساوية في العدالة والاقتصاد بلا تمييز عنصري أو ديني أو قومي. لم يعد هناك خيار آخر، إلا من راقته ملاحة الأوهام تلو الأوهام، التي تثير انتقادات واتهامات لن تنتهي إلا بخطي «أوسلو» إلى آفاق نضالية أرحب وأكثر جدوى.

الاستعمار في جغرافية
العائق الوحيد لإطلاق
حملة نضالية عالمية
إنهاء الصهيونية
بوصفها أيديولوجيا
عنصرية استعمارية

لَا كَانَ هَدْفُ
أَوْسُلُو «إِشْنَاء سُلْطَة
وَطَنِيَّة عَلَى أَيِّ جُزْءٍ
جَرِيَّ تَحْرِيرِهِ، فَقَدْ أَلْجَ
الْهَدْفُ

سيطرتها، أي المنقطتين «أ» و«ب». وهي الأموال الالزام لتمويل المؤسسات ورواتب الموظفين في القطاع العام.

ومع أن هناك عوائق لعدم إلغاء الاتفاق، من بينها عدم القدرة على توفير المال البديل عربياً للاستمرار، بعدما فشلت السلطة الفلسطينية عدّة مرات في تأمين مظلة مالية عربية، بعيداً عن الابتزاز الصهيوني، فإن هذا العائق على أهميته، الذي يضع السلطة واستمرارها في مقابل تحرير الأرض والوطن، سيظل استراتيجياً ضرورة، بل ومدمرة للهدف الأول الذي انطلقت من أجله الثورة الفلسطينية المعاصرة؛ تحرير الأرض وعودة اللاجئين إلى ديارهم، فقد تحولت لسلطة مع الزمن، يوعي أو من دون وعي، إلى جسم تابع للاحتلال، فقصيرها وبقاوتها مرتبطة بفعاليتها الأمني المحيط لأي عمل مقاوم ضد الوجود الاحتلالي، وهي معادلة مؤهلة للكل الوطني الفلسطيني، ويجب الأنسنتمر، إذ وصفتها عضو تنفيذية منظمة التحرير المستقلة، حنان عشراوي، بأنها كارثة، تجعل من هم تحت الاحتلال يحمون من محتلهم، الأمر الذي لم يحصل لشعب آخر في أي زمان ومكان.

ذلك كلّه، أن الأوان لـ«أوسلو» أن ينتهي، وتطوى صفحاته، كي تعود المنظمة إلى مناطقاتها الأولى، وهي مناطق سلية،

في الوجود مجرد مقابل للشعب الفلسطيني». بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني». وهو اتفاق غير قابل للترميم وفق عبد ربه، وعليه: «من غير المفيد أبداً محاولة ترميم ما تمرّق وسقط عبر الركض وراء مشروع الفلسطينية غير القابلة للتصرف»، مسأراً بالاعتراض على الحقوق الوطنية الثابتة في الشعب الفلسطيني وتقزيمها. ومع أنَّ الكاتب لا ينكر هنا أنَّ الاتفاق خالل التمثيل بالاتفاق واستدامة بقائه، أمر غير منطقي، إذ يُعدُّ، في جوهره، مراحله الأولى (والحق يقال)، ما تبيّن أنه أحد أهداف ياسر عرفات، وبعض حركة فلسطيني من الشتات إلى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلتين، وعودة قوات الثورة الفلسطينية من الخارج إلى الداخل. كذلك استخدمه عرفات، صاحب الشخصية المركبة والكاريزماتية التي تخفي أكثر مما تبتديء، لتهريب السلاح وتخزينه وتدريب المقاتلين، ومن ثم اختبر استراتيجيته في تقليل النضال المسلح من الخارج إلى الداخل في حدثين كبارين هامين ومحليين: هبة النفق (1996) واتفاقية الأقصى (2000 - 2005) المسلحتين. ومن فوائده على الصعيد السياسي أنه يرهن للعرب والعالم عدم رغبة الصهاينة في السلام، بل أثبت أنَّ كلَّ ما سعوا ويسعون إليه من مثل هذه الاتفاقيات استسلام فلسطيني، مقابل حكم ذاتي ذي صلاحيات محدودة، لا دولة فلسطينية، التي وإن تحققت اسمياً، لن تتشكل كياناً قابلاً للحياة إلا بالعتماد على لاقتصاد الصهايني والتبعية الأمنية له. ومن فضائل اتفاقية الأقصى التي جاءت، بشكل أو بآخر، نتيجة «أوسلو»، إنهاء الوجود الصهيوني المسلح في قطاع غزة، وهي إحدى النتائج الاستراتيجية التي حدّرت ظروفاً نضالية جديدة، سمحت للعمل الفلسطيني المسلح بالتطور، فشاهدناه في عدَّة معارك بين قوات الاحتلال والحركة الوطنية والإسلامية الفلسطينية (حروب غزة المكررة)، التي أوجرها أخيراً قائد «حماس» في قطاع غزة، يحيى السنوار، في مقابلة له بالقول: «المقاومة الفلسطينية وما تمتلكه من سلاح اليوم هي استكمال للنهج الذي اعتنده أبو عمار في الكفاح المسلح».

على الصعيد السياسي، فشل اتفاق أوسلو، وأصبح عبئاً ثقيلاً على العمل الوطني الرسمي الفلسطيني، ليس وفق تقييمنا نحن فقط، بل وفق تقييم أحد هم صانعيه، ياسر عبد ربه، الذي قال قبل عام 2015: «الخطوة السياسية منذ اتفاقية أوسلو حتى الآن، فشلت فشلاً ذريعاً وتاماً، والرهان على المفاوضات كسبيل وحيد لإنها الاحتلال انها كلها، والاعتراف بالمتباين بين منظمة التحرير وإسرائيل لم يكن متوازناً، لأنَّه اعتراف بحق إسرائيل

لم تكن انتفاضة «الشيخ جراح» التي شملت عموم الوطن الفلسطيني، من عكا إلى النقب، مروراً بمدن فلسطين التاريخية، حيفاً ويافَا والرملة والذِّي والجليل والمثلث، والضفة الغربية قاطبة، مع مقاومة غرَّةِ الإِعْجازِيَّةِ، وظهورات الشُّتَّاتِ الْفَلَسْطِينِيِّيِّيِّنَّ في دول الجوار، وما رافقها من تضامن عالميٍّ قلَّ نظيره منْذ نشوءِ المَأْسَاءِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ الْمُنْظَمَّةِ (النكبة) بحملات التَّهْيِيرِ الْعَرَقِيِّ الْمُنْظَمَّ (النكبة) التي قادتها العصابات الصهيونية قبل 73 عاماً، لم تكن هي الدافع المباشر لكي تدعى عدَّة حركات وطنية، وشخصيات عديدة في الداخل والخارج، إلى طي صحفة اتفاق أُوسلُو، الذي يكاد أو كاد أن يتحقق الحركة الوطنية الفلسطينية، ممثلةً بمنظمة التحرير الفلسطينية التي لم يتحقق للتحرير مكان فيها سوى في اسمها الذي يُذَكَّر بآلَّها انطلقت أو أُسْتَ لِأجلِه.

وعلى الرغم من أنَّ (أُوسلُو) نتج من تكتيكٍ فلسطينيٍّ أطلق عليه في سبعينيات القرن الماضي «البرنامج السياسي المرحلي»، ووقع عام 1993 (اتفاق أُوسلُو) بين حكومة الاحتلال ومنظمة التحرير في واشنطن، وصلاحيته (وقف نصه) خمس سنوات لا أكثر، وانتهت نهايةً دراماً تيكيةً بالفعل، عقب فشل مفاوضات كامب ديفيد الثانية عام 2000 مع اشتغال انتفاضة الأقصى المسلحة، ومددت له الإِدَارَةُ الْأَمْرِيَّةُ، والرباعية الدوليَّةُ، بوضع «خريطة طريق» كان يجب أن تفضي إلى إقامة دولة فلسطينية عام 2005، إلا أنَّ ذلك لم يحصل. وبِدَلَّاً منه، استمرت الآليات الأمنية المعروفة بخطبة جورج تينيت، التي نتجت عام 2001، في إطار مؤتمر شرم الشيخ، لمنع العمل الفدائي الفلسطيني ضد جيش الاحتلال ومستوطنيه.

وإذا قيَّمنَا ما بقي من الاتفاقِ الْيَوْمِ، لن نجد سوى التنسيق الأمني واتفاق باريس الاقتصادي الذي يشاء له بعضهم، راضياً أو مكرهاً، أن يُؤَيَّدَ ويُصَبَّحَ المرجع المعتمد والنهائي لِلْكَفَاحِ الْفَلَسْطِينِيِّ الرَّسْمِيِّ بقيادة منظمة التحرير، وبالتالي مرجعاً للقضية الفلسطينية، فقد أصبح اتفاق أُوسلُو خريطة الطريق المعتمدة دولياً لحل ما أصبحت تسميه حالياً الدول الغربية، بل وأغلب الدول العربية «النَّزَاعُ الْفَلَسْطِينِيِّ - الإِسْرَائِيلِيِّ». وعلى الرغم من فشله، ما زال يُطلُّب من الفلسطيني التزام بنواده، مع أنه لا يصلح وفق صياغته لأنَّ يكون حلاً. فوق قراءة دقيقَة، وكذلك تصريحات مهندسيه أنفسهم، لم يتضمن الاتفاق أيَّ بندٍ ينص على إنهاء الاحتلال أو إنهاء الاستيطان أو إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وهو ما أشار إليه أمين سر اللجنة

هل تجد سوريّة مكاناً لها على طاولة باريس؟

نائباً ديمقراطياً يريد سياسة «أخلاقية» للولايات المتحدة، بحيث لا يتم السماح للنظام الأسد بالوصول إلى التمويل اللازم لإعادة الإعمار قبل الحل السياسي النهائي. وقد سألته عن السعودية، وسعيها، من تحت الطاولة وفوقها، إلى التطبيع مع النظام، وعما إذا كان على الإدارة الأمريكية أن توقف في وجه ذلك، فأجاب أنه يضغط على الإدارة أن تنشر لهذه الدول أن للتقارب مع بشار عاقب جدية وأثماناً عالية. من واجب المعارضة السورية ومراعي الأبحاث المتعاطفة معها أن تكتنف نشاطها مع أعضاء الكونغرس ووزارة الخارجية الأمريكية لايصال رسالة مفادها بأن انتصار الأسد المزعوم ضرورة لسار حنف وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وضربة أيضاً لمواقف الديمقراطيات الغربية من المسالة السورية، ومن قضايا حقوق الإنسان عموماً، وهو ما كان واضحاً في خطاب الأسد. من المهم أن يكون بايدن حاسماً مع الروس، وواضحاً معهم، في الوقت نفسه، بأنه مستعد للقبول بحل سياسي يضمن مصالح روسيا في المنطقة بعيداً عن الأسد الذي سوف يتحول من ديكاتاتور إلى طاغية لا يحدّ من انتقامته حدّ ولا يقف في طريقه أحد. عندما تم انتخاب السيد بايدن، كنت أمل أن يتعلم من الدروس المؤلمة الأخيرة، ومن الأخطاء المؤسفة لسلفيه في ما يخص الشأن السوري، فيضع سياسة أكثر قوّة تجاه موسكو مما فعل سلفاه الضعيفان. ولا يزال ثمة رهان على حنكة الرجل وقوّة شخصيته وخبرته في السياسة الدوليّة ونزعته الإنسانية التي عبر عنها في أكثر من مجال.

ليست سورية أولوية
بایدن، ولكنها أولوية
لبوتين الذي استثمر
في سورية، ويريد أن
يجني أرباح استثماراته

حين ستطرح المسألة
السورية، لن يكون
امام بайдن سوى
أن يعيد طرح
قضتي «داعش»
المساعدات الدولية

ولاية إيلينوي، رجا كريشنامورثي، وهو عضو في لجنة الاستخبارات الأميركيه التابعة لمجلس النواب، وعضو المجموعة الداعمة للشعب السوري في المجلس. هم ما قاله كريشنامورثي إنه لا ينبغي سورياه أن تكون جزءاً من التفاوض ضمن الملف النووي الإيراني، وأنه بوصفه

على إعادة الإعمان، وسيقول لبайдن إن الأسد قد خاص انتخابات الرئاسة وفقاً للدستور السوري، وهو، أحب بайдن ذلك أم كرهه، موجود وباق، وإذا كان بайдن، ومعه حكومات الغربية، راغباً في حل معاناة السوريين، فلا بد من إعادة الإعمار وعن طريق الأسد. وعندما سيخرج بайдن من حوار الطرشان صفر الـ100، كما سيخرج معه السوريون عموماً بدون بارقة ضوء في نهاية هذا النفق المدید.

لا تعرف إن كان بайдن يرى كيف تسير الأمور في الملف السوري، وفي أي اتجاه؟

نبي دول أوروبية، وبينها اليونان، وهنغاريا وصربيا وقبرص، رغبتها في إعادة فتح سفاراتها في دمشق، وتحوّل غالبية من الدول العربية هذا المنحى، بدفع مصرى - سعودي واضح. وفرنسا التي أنقذت الأسد في السابق، حين خرجه الرئيس الأسبق، شيكولا ساركوزى، وسفيره إريك شوفالى، من العزلة الخانقة التي وضع نفسه فيها بعد اغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق، رفيق الحريري، فرنسا هذه لا تبدو بعيدة عن إعادة الاتخراط مع الأسد، وخصوصاً بعد أن أفسحت في المجال لسفارة الديكتاتور أن تفتح أبوابها لاستقبال من يرغب في التصويت، وهي تعلم علم الحق أن الانتخابات لن تكون نزيهة، وأنها تختلف صراحة خطة الأمم المتحدة لحل النزاع في سوريا.

في حكومة الولايات المتحدة أشخاص لا يعرفون عن سوريا إلا أنها تقع شمال سرائيل وشرق لبنان. وفيها من يعرف بتفاصيل دقيقة لا يعرفها بعضاً، نحن السوريين المتابعين جمعني قبل أيام، مع نخبة من قادة المنظمات السورية لأميركية، لقاء بنائب ديمقراطي عن

والحال أنه لولا الدور التدميري الذي لعبه بمشاركة الأسد ولفيه لما كان ثمة «داعش»، ولا صار تهجيري، ولا احتاج السوريون المساعدات الإنسانية. إنه يلعب لعبته عالمانية، ومن دون مداراة. وكان فصله أخيراً في لعبته الانتخابيات الرئاسية التي أرادها مناسبة لظهور للعالم أنه لا يأبه بما يرون، وآن رايهم في حكمه يساوي «الصفر». يدرك الأسد أن الروس لن يتخلوا عنه الآن، لأن في ذلك التخلّي علامة ضعف لا تليق بالرئيس الروسي الذي يتصرّف وكأنه زعيم عصابة أكثر مما هو زعيم دولة.

ليس سوريا، إذن، أولوية لبайдن، ولكنها أولوية لبوتين الذي استثمر في سوريا، ويريد أن يحيي أرباح استثماراته. ولئن كان في الامتيازات التي نالها في مرافق طرطوس وقطاع الغاز بعض الربح، إلا أن هدفه، في نهاية المطاف، إعادة الإعمار، لأن المكاسب المادية والسياسيّة الأكبر هناك.

وعلى هذا، من المرجح أن يكون بوتين هو من يطرح المسألة السورية على طاولة النقاش، وعندما سيد بайдن نفسه في زاوية صعبة، ففريقيه لم يطور له استراتيجية خاصة بسوريا يتوّكّل عليها، وهو لا يزال ينتظر أن يرى كيف تسير الأمور مع إيران، ويرى سو على بــ«فيما يخص الشأن السوري»، وحين ستطرح المسألة السورية، لن يكون أمام بайдن سوى أن يعيد طرح قضيّي «داعش» والمساعدات الدوليّة، وسيكون ردّ بوتين الجاهز أن «الدولة السورية» تقاتل «داعش»، وأن المساعدات يجب أن تمرّ عن طريق «الدولة السورية»، والأمل أن يوافق بوتين على الخطّة الأميركيّة لفتح معابر إضافية لتمرير المساعدات من الشمال السوري، ولكن ذلك لاإسف ليس أكيداً. وفي المقابل، سيركّز بوتين

وائف السواح

■ مكتب بيروت - الحمزة - شارع باستور - بناية 33
■ هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
■ لل subscripti ons: alaraby.co.uk/subscriptions
■ هاتف: جوال: +97440190635 - +97450059977

المكتبة الرئيسية، لندن
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FW
Tel: 00442071480366
مكتبة الدوحة
دودوحة - الدفتة - برج الفردان - الطابق العاشر -
الدوحة - قطر - 2022-11-10 10:00:00

- رئيس التحرير حسام كنفاني ■ مدير التحرير ارنست خوري
- العدیر الفنی امیل هنعم ■ السیاسة جمانة فرجات ■ الاقتصاد
- مصطفی عبد السلام ■ الثقافة نجوان درویش ■ منوعات
- ياك حداد ■ الراي معن البياري ■ المجتمع يوسف حاج علي ■
- رياضه نبيل التلبي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل



العربي الجديد
www.alaraby.co.uk